"The Ideals of Tribal Pride in the Poetry of the Ten Pre-Islamic Poets"

Huda Hikmat Bodur*
Dr. Rabah Ali**

(Received 16 / 7 / 2025. Accepted 10 / 12 / 2025)

□ ABSTRACT □

This research aims to reveal the manifestations of the ideal in tribal pride in the poetry of the authors of the ten pre-Islamic poems ،those poets who represented the pinnacle of artistic expression in the pre-Islamic era. Their poems were clear mirrors reflecting the systems of values and ideals that the tribal society believed in ،in an environment dominated by challenge and survival of the fittest. It clarifies how these texts contributed to establishing an ideal image of the collective self in the Arab society before Islam ،and how the poets expressed a comprehensive moral and social vision that embodies an ideal tribal model ،where the poet identifies with his tribe and presents belonging to the tribe as a means to dignity and immortality. It also explores how the ideal was formed in the poetry of pride as a system of attributes that represent the ultimate goal of the Arab human being. Thus ،the image of the victorious tribe in the battlefield ،adhering to the values of loyalty and nobility ،appears as the highest model that the pre-Islamic poet strives to embody first and to declare it above others second.

Keywords: ideal - the highest - pride - tribal - the ten poems..

Copyright **:**Latakia University journal (formerly tishreen) -Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

*Postgraduate (Master's) Student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Latakia (formerly tishreen) , syria.

**Assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Latakia(formerly tishreen) , syria.

المثل الأعلى في الفخر القَبليّ
في نماذج من شعر أصحاب القصائد العشر الجاهليّات

هدى حكمت بدور *
د. رباح علي **

(تاريخ الإيداع 16 / 7 / 2025. قبل للنشر في 10 / 12 / 2025)

□ ملخّص □

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن تجلّيات المثل الأعلى في الفخر القَبليّ في شعر أصحاب القصائد العشر الجاهليّات، أولئك الشّعراء الذين مثّلو ذروة التّعبير الفنّيّ في العصر الجاهلي، فكانت قصائدهم مرايا صافية تعكس أنساق القيم والمُثل التي آمن بها المجتمع القَبليّ، في بيئة يغلب عليها التّحدي والبقاء للأقوى، مبيّنا كيف أسهمت هذه النّصوص في ترسيخ صورة مثاليّة للذات الجماعيّة في المجتمع العربيّ قبل الإسلام، وكيف عبّر الشّعراء عن رؤية أخلاقيّة واجتماعيّة متكاملة تُجسد أنموذجاً قبلياً مثاليّاً، يتماهى فيه الشّاعر مع قبيلته، ويُقدّم فيه الانتماء إلى القبلية بوصفه سبيلاً للكرامة والخلود، و كيف تشكّل المثل الأعلى في شعر الفخر بوصفه منظومة من الصّفات التي تمثّل غاية الإنسان العربي ومبتغاه، فبدت صورة القبيلة المنتصرة في ساحات الوغى، والمتمسكة بقيم الوفاء والنبل هي النّموذج الأعلى الذي يسعى الشّاعر الجاهليّ إلى تجسيده أولاً، وإعلائه فوق سواه من النّاس ثانياً.

الكلمات المفتاحيّة: المثل الأعلى – الفخر القَبليّ– القصائد العشر.

حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **طالبة ماجستير قسم اللغة العربية_ كلية الآداب والعلوم الإنسانية_ جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)– سوريا.**
** **أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)– سوريا.**

مقدّمة:

شكّل الفخر أحد أبرز وظائف الشّعر في العصر الجاهليّ، لا لأنّه مجرّد تفاخر بالأنساب وتغنّ بالبطولات، بل لأنّه تعبير عميق عن القيم العليا التي كان الشّاعر الجاهليّ يراها مرآة لذاته، ووسيلة لترسيخ الشّعور بالانتماء إلى قبيلته، التي طالما كان حضورها في شعره حضوراً مكثفاً قائماً على تمجيدها وذكر بطولاتها، وإظهار تفوّقها على غيرها من القبائل، والدفاع عنها، وذلك من خلال رسم صورة مثاليّة لها في شعره، منطلقاً في ذلك من انتمائه إليها وعصبيته تجاهها.

سبب اختيار البحث:

جاء اختيار دراسة المثل الأعلى في الفخر القَبليّ في شعر أصحاب القصائد العشر لأن شعراء هذه القصائد من أشهر شعراء الجاهليّة، ولأن أشعارهم شكّلت أنموذجاً شعرياً متميّزاً قديماً وحديثاً ولأنها تزخربمادة أدبيّة وتاريخيّة تُعدّ سجلاً حقيقياً للقيم والمفاهيم التي سيطرت على الذهنيّة الجاهلية.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الاعتماد على النّصّ الشّعريّ للكشف عن الصّورة المثاليّة التي رسمها الشّاعر الجاهليّ لقبيلته، وما تجسّد فيها من معاني البطولة والشّرف والسّيادة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن فكرة المثل الأعلى في الفخر القَبليّ في شعر أصحاب القصائد العشر؛ والوقوف على أهمّ القيم الفكريّة والجماليّة التي تجلّت في أشعارهم؛ كالشّجاعة، والكرم، والمروءة، والانتماء، وكيف اتخذ الفخر بعداً جماعيّاً يتجاوز الذات الشّاعرة ليجسّد صورة القبيلة بوصفها الأنموذج الأسمى.

الدراسات السابقة:

حظي الشّعر الجاهليّ بكثير من الدراسات التي تناولت مختلف موضوعاته، لكن لم نقف على دراسة تناولت فكرة المثل الأعلى في الفخر القَبليّ في شعر أصحاب القصائد العشر بشكل مستقل، وإنما أفاد البحث من دراسات أشارت إلى فكرة المثل الأعلى، منها:

(الوعي الجماليّ عند العرب قبل الإسلام الدكتور فؤاد المرعي)، وقد تناول الكاتب بعضاً من نواحي الوعي الجماليّ عند العرب الجاهليين، ولا سيما المفهومين الجماليين الأكثر بروزاً في ذلك الوعي، وهما: مفهوم (البطوليّ)، ومفهوم (الجميل).

أيضاً أفاد البحث من كتاب (دراسات في الشّعر الجاهليّ الدكتور يوسف خليف) الذي تحدث عن العلاقة بين الشّاعر وقبيلته، وتناول مذاهب الشّعراء في انتمائهم إلى قبائلهم كالمذهب (الفرديّ) والمذهب (القَبليّ) الذي تكون ذوات الشّعراء فيه مرتبطة بالقبيلة ارتباطاً وثيقاً، ويكون الشّاعر فيه معبّراً عن قبيلته ورغباتها واتجاهاتها، ومفتخراً بانتصاراتها وبطولاتها.

بحث (الانتماء القَبليّ في نماذج من الشّعر الجاهليّ بين العصبيّة والوعي العصبيّ لـ علي مصطفى عشا)، الذي تحدث عن مفهوم الانتماء إلى القبلية، وكيف شكّل هذا المفهوم أهم شروط الوجود الإنسانيّ في العصر الجاهليّ، وركيزة أساسية في الحياة القَبليّة، وكيف شكّلت العصبيّة مظهراً لهذا الانتماء.

أيضاً كتاب (الإنسان في الشعر الجاهليّ الدكتور عبد الغني زيتوني) الذي تحدث عن اعتزاز الإنسان العربيّ بنسبه وقبيلته، وكيف أن الشّاعر الجاهليّ كان يرى في القبيلة أنموذجاً مثاليّاً للكمال والرفعة والسّؤدد، مما جعله ينحت لها تمثالاً بديعاً يجمع فيه أفضل الصّفات الخُلقية والخَلقية.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي الذي يعمل على تقريّ النّصوص الشّعريّة قراءة واعية متأنية دقيقة بقصد تفسير دلالاتها، سعياً إلى الكشف عن المثل الأعلى في الفخر القَبليّ في شعر أصحاب القصائد العشر، إلى جانب الإفادة من معطيات المناهج الأخرى، كالاجتماعيّ والنّفسيّ.

النتائج والمناقشة:

المثل الأعلى، لغةً واصطلاحاً:

المثل في اللّغة: هو الشّبيه والنّظير، وقد حدّده ابن فارس بقوله: الميم والثاء اللام أصل صحيح يدلّ على مناظرة الشّيء للشّيء، وهذا مِثْلُ هذا، أي نظيره، والمِثْلُ والمِثال في معنى واحد. والمَثَل: المِثْلُ أيضاً، كشَبَهٍ وشِبْه. والمثَلُ المضروب مأخوذ من هذا، لأنّه يُذكر مُورّىً به عن مِثْلِهِ في المعنى[1].

ومَثّل له الشّيء صوّره حتى كأنه ينظر إليه وامتْثَله هو: تصوّره. ومَثّل الشّيء بالشيء: سوّاء وشبّهه به، وجعله مِثله وعلى مِثالِه[2]

وقد عُرّف المثل الأعلى، بأنّه: (ما كان غاية في بابه من النّاحية الجماليّة أو الأخلاقيّة أو الاجتماعيّة، ومالا يوجد إلا في الذّهن ويُقابل الواقع والمثاليّ وصف لكل ما هو كامل في بابه، كالخُلق المثاليّ واللوحة المثاليّة، وهو صعب التّحقق، وهو وصف لما يتصل بالفكرة والمعنى))[3] إذاً فالمثل الأعلى هو الصورة الكاملة والتّامة للأشياء، وهذه الصّورة قد لا تتحقق تحققاً تامّاً، وإنّما توجد في ذهن الإنسان ومخيلته، ولكنه يسعى إلى تحقيقها والوصول إليها.

ولعلّ التّعريف الأكثر اتفاقاً مع ما نبحث عنه، والذي سنتخذه أساساً للقراءة النّصيّة في هذا البحث، هو تعريف المثل الأعلى بالمعنى النّسبيّ أو الخاص فالمثل الأعلى في هذا المعنى هو «نموذج نتصوره ونقيس عليه ونسترشد به، وكل المُثل العليا الخاصّة بالأفراد أو الجماعات أو الموضوعات الجزئيّة من هذا القبيل»[4] فالمثل الأعلى هنا يعني

[1]– ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد لسلام محمد هارون، دار الفكر دمشق، د. ط، د. ت، مادة: مَثَل

[2]– ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر –بيروت، د. ط، د. ت، مادة: مَثَل

[3]– المعجم الفلسفي، د. ابراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د. ط، 1983، ص170

[4]– المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د. عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، مصر، ط3، 2000، ص742.

وجود صورة ذهنيّة أو نموذج متخيل يحقق الصّفات الكاملة التي يسترشد بها الإنسان ويقيس عليها، ليحقق حياة تامّة منسجمة، إن أمكن ذلك.

الفخر لغة واصطلاحاً:

الفخر في اللغة هو: التّمدح بالخصال، وتفاخر القوم: فخر بعضهم على بعض[5]. «والفَخر والفاخر: الشّيء الجيّد، و التّفخُّر: التعظّم»[6]، والفخر في الاصطلاح . هو: فنّ من فنون الشعر الغنائي يقوم على «التّغني بالفضائل والمُثل العليا، والتّباهي بالسّجايا النّفسيّة والصّفات القوميّة، والزّهو بالفعال الطّيبة»[7]

وأدب الفخر «شكل من أشكال التّواصل مع الواقع والاستجابة له استجابة تقتضيها جملة الظروف المعاشة، فهو على الحقيقة آليّة من آليات الدّفاع النّفسيّ»[8]عن النّفس وعن القبيلة. إن التّمعن في هذه المعاني والتعريفات يدّل على اتّفاقها على تحديد معنى الفخر الذي يدور حول معاني التّعظيم والمدح بالخصال الحميدة.

المثل الأعلى في الفخر القَبليّ:

مثّلت القبيلة في العصر الجاهليّ «خياراً حقيقاً للإنسان الجاهليّ، الذي وجد نفسه في عالم مستغلق بسبب معطيات الجدب والحرب، وما نتج عنهما من مأسسة للقوّة التي حاولت فرض معاييرها كمرجعية جوهريّة يقوم عليها البناء القيميّ في المجتمع القَبليّ الجاهليّ»[9] وإذا تتبعنا معنى كلمة (قبيلة) في معاجم اللّغة نجدها تدور حول وحدة الأصل والنّسب، فالقبيلة من النّاس «بنو أب واحد»[10]، وقد عُرّفت القبيلة بأنها «نظام اجتماعيّ يقوم على أساس ثقافيّ وسلوكيّ وأمنيّ واقتصاديّ واضح المعالم، تنشأ فيه التّحالفات الداخليّة والخارجيّة بناء على مصالح جوهريّة وبناءً على حقوق ثقافيّة وإنسانيّة»[11] وبأنها «الوحدة السّياسيّة والاجتماعيّة بل الدولة المصغرة التي انطوى تحت رايتها كل أفرادها»[12]، وبما أن القبيلة بناء متكامل يضم جميع الأفراد . المشتركين بالدّم و النّسب . المنضوين تحت جناحها، كان لا بدّ أن يكنّ كلّ منهم شعوراً ما بانتمائه إليها.

ولم يكن الشّعراء في العصر الجاهليّ إلا أفراداً من ذلك المجموع الذي يؤمن بالقبيلة إيماناً راسخاً، فكان عليهم أن يؤمنوا بقبائلهم، وأن يقفوا عليها شعرهم، لذلك فقد كان حضور القبيلة في النّصّ الشّعريّ الجاهليّ حضوراً مكثفاً قائماً على تمجيدها وذكر بطولاتها وذلك من خلال شعر الفخر الذي يُعدّ من أبرز وظائف الشّعر الجاهليّ التي ترسّخ الشّعور بالانتماء القَبليّ. بناء على هذا، كان لا بدّ من فهم خصوصيّة الانتماء إلى القبيلة، و مركزيته في حياة أبنائها، ومنهم الشّعراء.

---

[5]– لسان العرب، مادة: فخر.

[6]– مقاييس اللغة، مادة: فخر.

[7]– الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط5،1986، ص300.

[8]– مقالات في الشعر الجاهلي، د. يوسف اليوسف، دار الحقائق، سوريا، ط2،1980، ص24.

[9]– الانتماء القَبليّ في نماذج من الشّعر الجاهليّ (بين العصبيّة والوعي العصبيّ)،علي مصطفى عشا، المجلة العربية للآداب،الأردن،المجلد2،العدد1،2005،ص125

[10]– لسان العرب، مادة: قبل، مقاييس اللغة، مادة: قبل .

[11]– القبيلة أو القبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، عبد اللّه الغذامي، المركز الثقافي العربي،المغرب،ط2،2009، ص159

[12]– مقدمة القصيدة العربية في الشّعر الجاهليّ، د. حسين عطوان، دار المعارف – مصر، د. ط، 1970، ص 32

مركزيّة الانتماء إلى القبيلة:

يُعدّ الإنسان كائناً اجتماعياً بطبعه، لا يستطيع العيش إلّا ضمن جماعة تؤمّن له حاجاته الأمنيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة والإنسانيّة، وقد كان لطبيعة الحياة القاسية القائمة على الحروب والمنازعات والتّنقل والترحال التي عاشها الإنسان في العصر الجاهليّ دور كبير في حاجته إلى وجود جماعة ينتمي إليها، وينضوي تحت لوائها. وقد عُرّف الانتماء بأنه «ظاهرة إنسانيّة فطريّة تربط بين مجموعة من النّاس المتقاربين والمحدّدين زماناً ومكاناً بعلاقات تشعرهم بوحدتهم وبتمايزهم تمايزاً يمنحهم حقوقاً، ويحتّم عليهم واجبات، وهو متطوّر بالإرادة الإنسانيّة الباحثة عن الأفضل تطوّراً ينوّع ويوسّع، ويربط دوائره بالحذف والإضافة وليس بالإلغاء، ولا بالخلق الجديد»[13]، فالإنسان يولد «ضمن ظروف لا إرادة له فيها وهذه الظروف تلزمه انتماءات لا إرادة له فيها أيضاً، وهي انتماءات قسريّة كالانتماء إلى الأسرة والقبيلة والدين وغير ذلك»[14]، والقسر هنا لا يحمل معنى سلبياً، وإنما يعني انتماء الإنسان إلى أسرته أو قبيلته بسبب طبيعته الإنسانية، وفطرته التي توجّهه إلى ذلك. ولعل أولى الانتماءات التي انتمى إليها الإنسان في العصر الجاهليّ هي الأسرة، التي تشكّل «أصغر وحدة من وحدات القبيلة»[15]، وقد مثّل الانتماء إلى القبيلة أهم شروط الوجود الإنسانيّ في العصر الجاهليّ، لذلك عُدّ الانتماء القَبليّ «الرّكيزة الأساسيّة في الحياة القبليّة، وكانت العصبيّة مظهراً لهذا الانتماء، وهي التي تستند بدورها إلى الدّم، ووحدة القبليّة، في المصير والغاية»[16] فالعصبيّة عماد الانتماء، وقد عرّفها (ابن خلدون) بأنّها: «النّعرة على ذوي القُربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيمٌ أو تصييهم هلكةٌ»[17] فالعصبيّة التي قوامها الدّم والنّسب تعني شعوراً متبادلاً بين الفرد وقبيلته، فالفرد يشعر نفسه جزءاً لا يتجزّأ منها، وهو على استعداد دائم للفناء كليّاً فيها، كما أنّ قبيلته تهبّ لنصرته إذا تعرّض لخطر ما؛ سواء أكان ظالماً أم مظلوماً.

ولم يكن الشّعراء في العصر الجاهليّ «إلّا أفراداً من ذلك المجموع الذي كان يؤمن بالعصبيّة القَبليّة إيماناً جعل منها الأساس الذي يقوم عليه المجتمع الجاهليّ، ومحوراً تدور حوله أوضاعه وتقاليد، ونظمه الاجتماعيّة»[18] وقد تفاوت الشّعراء في انتمائهم إلى قبائلهم، وفي قربهم أو بعدهم من القبيلة؛ فهناك مجموعة من الشّعراء لم تفنَ شخصياتهم الفنيّة في شخصيات قبائلهم، ولم يصدروا في فنّهم عن الشخصيّة القَبليّة، وإنما كانوا يصدرون عن شخصيّاتهم الفرديّة، وهم الشّعراء الذين عرفوا بأصحاب المذهب (الفرديّ)، ولعلّ أشهر الأمثلة على هذه المجموعة من الشّعراء في الشّعر الجاهليّ؛ شاعران: امرؤ القيس، وطرفة بن العبد.

إلى جانب هذه المجموعة من الشّعراء ظهرت طائفة أخرى غالت في فهم الشّخصيّة الفرديّة، وهم (الشعراء الصعاليك)، الذين بالغوا في الاعتداد بالشخصية الفرديّة، والاعتزاز بمقدرة الفرد على الوقوف في وجه الجماعة، والتّحلّل من الشّخصية القَبليّة، والانتقال من الانتماء إلى العصبيّة القَبليّة إلى الانتماء إلى الإنسانيّة الأوسع.

---

[13]– الانتماء في الشّعر الجاهليّ، د. فاروق أحمد اسليم، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق، د. ط، ١٩٩٨، ص14.

[14]–الانتماء في الشّعر الجاهليّ، د. فاروق أحمد اسليم، ص١١

[15]– كلام البدايات، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص ٥٩.

[16]– الانتماء القَبليّ في نماذج من الشّعر الجاهليّ (بين العصبيّة و الوعي العصبيّ) علي مصطفى عشا، ص ١٢٦

[17]– مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: عبد اللّه محمد الدرويش، الجزء الأول، دار يعرب – دمشق، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢٥٦.

[18]– دراسات في الشّعر الجاهليّ، د. يوسف خليف، دار غريب، القاهرة، د. ط، د.ت، ص ١٧٣

لكن يمكن القول: إنّ أكثر الاتجاهات حضوراً في الشّعر الجاهليّ، هو الاتجاه (القَبليّ) الذي تكون ذوات الشّعراء فيه مرتبطة بالقبيلة ارتباطاً وثيقاً، ويكون الشّاعر فيه معبراً عن مشاعر قبيلته ورغباتها واتجاهاتها، قبل أن يكون معبّراً عن مشاعره ورغباته واتجاهاته الشّخصيّة، ويصبح ضمير الجماعة «نحن» أداة التّعبير بدلاً من ضمير الفرد «أنا»، ولعلّ أقوى مثال على هذه النّزعة القَبليّة في الشّعر الجاهليّ معلّقة (عمرو بن كلثوم) شاعر تغلب[19]. وعلى الرغم من تفاوت الشّعراء في درجة انتمائهم، فقد كان الانتماء إلى القبيلة محور الوجود الإنسانيّ، لأنّ عصبيّة الشّاعر الجاهليّ لقبيلته «لم تكن عند التّدقيق إلا ترسيخاً لذاته، ورغبة في بلورة الـ (أنا) من خلال الـ (نحن) لتكون قادرة على البقاء»[20] والاستمرار في مجتمع كالمجتمع الجاهليّ، ولأن الانتماء ضرورة إنسانيّة، وحاجة وجوديّة، ومطلب طبيعي يحق لكل فرد التّمتع به، كان من واجب الفرد تجاه قبيلته أن يتمسّك بمبادئها، ويُدافع عنها قولاً وفعلاً، ويسعى إلى التّحلي بأكمل الصّفات لكي ينزل منها بالمكانة الكريمة التي يسعى إليها كل فرد من أفرادها ليكون جديراً بالانتماء إليها، يقول عبيد بن الأبرص[21]:

١ــ إذَا كُنْــتَ لَــمْ تَعْبَــأْ بِــرَأْيٍ وَلَــم تُطِــعْ ... إلَــى اللّــبّ أو تُرعــي إلــى قَــوْلِ مُرْشِــدِ[22]

٢- وَلَا تَتَّقِــــــي ذَمَّ العَشِــــــيْرَةِ كُلّهَــــــا ... وَتَــــدْفَعُ عَنْهــــا بِاللِّسَــــانِ وَبِاليَــــدِ[23]

٣- وَتصْــــفَحُ عَــــنْ ذِي جَهْلِهَــــا وَتَحُوطُهــــا ... وَتَقْمَــــعُ عَنْهَــــا نَخْــــوَةَ المُتَهَــــدِّدِ[24]

٤- وَتَنْــــزِلُ مِنهَــــا بِالمَكَــــانِ الــــذي بِــــهِ ... يُــرى الفَضْــلُ فِــي الــدُّنيا علــى المُتَحَمّــدِ[25]

٥ــــ فَلَسْــــتَ وَإِنْ عَلّلْــــتَ نَفْسَــــكَ بِــــالمُنى ... بِــــذِي سُــــؤددٍ بــــادٍ ولا كَــــرْبٍ ســــيّدِ[26]

يحدد الشّاعر في هذا النّصّ قواعد النّظام الاجتماعيّ التي تحفظ كيان الفرد وكرامته في علاقته مع الآخرين التي ينبغي على الفرد الالتزام بها ليكون قادراً على الانتماء إلى قبيلته، فإذا كانت القبيلة توفر لأفرادها الحماية والأمان كان من واجبهم . حسب رؤية الشّاعر . الالتزام بقواعدها والتّفاني في خدمتها، من خلال مطابقة أفعالهم لقواعد السّلوك التي تحدّدها قيم القبيلة ومُثلها، وأولى هذه القواعد: الإصغاء إلى صوت القبيلة، وقيمها ومبادئها (ترعي إلى قول مرشد)؛ لأن صوتها هو دليل الفرد ومرشده إلى كل ما هو شأنه أن يرفع من مكانته، ويحقّق له الوجود الاجتماعيّ والإنساني المتميّز، ويجنّبه (ذمّ العشيرة) بكل طبقاتها وفئاتها (كُلّها) ليكون قادراً على حمايتها من الأخطار الخارجيّة قولاً وفعلاً (تدفع عنها باللسان وباليد)، ويسهم في عملية بنائها من الداخل من خلال تعزيز أواصر الولاء والانتماء؛ وذلك بالعفو عن الجاهل فيها، والوقوف في وجه من يخرج على نظمها وقوانينها، ليحقّق بذلك لنفسه المكانة السّامية التي يفتخر بها

[19]- ينظر، دراسات في الشّعر الجاهليّ، د. يوسف خليف، ص ١٧٤،١٧٦، ١٨٠،١٨١،١٨٧

[20]- مقالات في شعر الجاهليّة وصدر الاسلام، د. عدنان محمد أحمد، دار المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١،٢٠٠٧،ص٧.

[21]- ديوانه، تحقيق وشرح: د. حسين نصّار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٥٧، ص٥٤.

[22]- لم تعبأ: لم تهتم - اللبّ: العقل.

[23]- تدفع: تُدافع.

[24]- الصفح: العفو . ذي جهلها: الجاهل السفيه .تحوطها: تُدافع عنها وتحفظها .تقمع: تصرف أو تمنع .النخوة: الحماسة أو التكبر والتعظم .

[25]- المتحمد: الذي يحمد نفسه .

[26]- عللت نفسك: شغلتها .السؤدد: العز والسيادة . كرب سيد: أي قريب من السيادة .

كل مَن يملكها، تلك المكانة التي تحقّق له العزّ والسّيادة، أو تجعله قريباً منها. إنّ اعتراف الشّاعر بهذه القواعد يعني ضمنيّاً التزامه بها، وقبوله بقيم القبيلة لكي يكون فرداً منتمياً إليها.

إذاً يبرز الانتماء القَبليّ من «التّلاحم المطلق بين الفرد والقبيلة في إطار من التّوازن الكليّ بين دوريهما»[27]، فالتزام الشّاعر بقوانين الحياة القَبليّة، يحتم على قبيلته أن تقوم بدورها تجاهه؛ وذلك بحمايته، ونصرته، ودفع الظلم عنه، وهذا ما يظهر في قول (لبيد بن ربيعة العامريّ) الذي يفتخر بانتمائه إلى قوم أقوياء قادرين على حمايته، ودفع الظلم عنه، قائلاً:[28]

١-إنِّـــي امـــرؤٌ مَنَعَـــتْ أَرُومَـــةُ عَـــامِرٍ ضَـــيْمِي وقـــد جَنَفَـــتْ عَلَـــيّ خُصُـــومُ[29]

٢- جَهَـــدُوا العـــداوةَ كُلّهـــا فأَصَـــدَّها عَنّـــي مَنَاكِـــبُ عِزُّهـــا مَعلـــومُ[30]

٣- منهـــا حُـــوَيٌّ والـــذُّهاب وقبلَـــهُ يـــومٌ بِبُرْقَـــةِ رَحْرَحَـــانِ كَـــرِيْمُ [31]

٤- وَغَـــدَاةَ قَـــاعِ القُـــرنَتَيْنِ أَتَيْـــنَهُمْ رَهْـــوَاً يَلُـــوحُ خِلالَهـــا النَّسْـــوِيمُ[32]

٥- بكتائـــبٍ تـــردي تعـــوّدَ كَبشـــها نطـــحَ الكبـــاشِ كـــأنهنَّ نجـــومُ [33]

٦- نمضـــي بهـــا حتـــى تُصـــيبَ عـــدُوّنا وتُـــردّ منهـــا غـــانمٌ وكلـــيمُ [34]

يظهر الانتماء القَبليّ في هذا النّصّ كما يمثّله وعي الشّاعر وإدراكه أهمية الانتماء؛ كونه يمثّل ضرورة للبقاء، وقوة من قوى الحفاظ على الوجود الإنسانيّ، ومنحه قيمة ومعنى، وذلك من خلال فخر الشّاعر بنسبه، وانتمائه الصّريح إلى قومه (بني عامر)، وهو انتماء لا شكّ فيه تؤكّده الجملة الاسمية (إني امرؤٌ) المؤكّدة ب (إنّ) ويعزز هذا الانتماء استخدام ضمير المتكلم، وقد تكرر استخدام هذا الضمير في أكثر من موضع (إنّي . عليّ . عنّي) ليعبّر عن إحساس الشّاعر بهذه الحماية والحصانة التي تحيطه بها قبيلته (بنو عامر) تلك القبيلة القادرة على مواجهة خصوم عدّة، وهذا ما تعبّر عنه صيغة الجمع (خصوم) و(واو الجماعة) (جهدوا).

وهذا ليس ببعيد عنها، فهي ذات ماض عريق وعزّ (معلوم) بين القبائل. وإظهاراً لمزيد من الفخر والانتماء، وتأكيداً لشرف قومه، وإثباتاً لتفوقهم، يذكر الشّاعر أمجادهم الحربيّة وانتصاراتهم في أيامهم السّابقة، ويُعدّد هذه الأيام، ويُكثر منها (حويٌّ . الذّهاب . يوم رحرحان . قاع القرنتين) هذه الأيام خاضتها القبيلة بقيادة قائد متمرس في الحروب، خبير بمنازلة الأقران، حتى أصبحت الحرب عادة متأصلة لديه (تعود كبشها . نطح الكباش) وتأكيداً لحسّ الانتماء ينتقل الشّاعر من ضمير المتكلم إلى ضمير الجماعة (نمضي)، وذلك ليؤكّد أن نصر القبيلة في حربها هو نصر لجميع أفرادها – وإن لم يشاركوا فيها فعليّاً – وهو نصر مستمر، يؤكّد ذلك استخدام الفعل المضارع (تُصيبَ– تُردَّ)، فهو على

[27]– الرؤى المقنّعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشّعر الجاهليّ (البنية والرؤيا)،كمال أبو ديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، ١٩٨٦، ص٤٥٨.

[28]– شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حقّقه وقدم له: د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي – الكويت، د.ط،١٩٦٢،ص١٣٢.

[29]– الأرومة: الأصل. جنفت: جارت .ضيمي: ظلمي

[30]– جهدوا: من الجهد أي بلغوا جهدهم فيها .أصدها: ردّها .مناكب: جماعات .ويروى: فيصدهم .

[31]– حويٌّ والذّهاب: يومان كانت لهم فيه وقعة .رحرحان: موضع وقعة .

[32]– أتينهم: الخيل. رهواً: متتابعة .القاع: الأرض ذات الطين الحر .القرنتين: موضع. خلالها: وسطها .التسويم: العلامات .

[33]– يروى: بكتائب ردح .تردي: تمشي وتعدو .كبشها: كبيرها .الكتيبة: الجيش الكبير . كأنهنّ نجوم: من بريق الحديد .

[34]– غانم: أي من الخيل .كليم: جريح

ثقة بقومه، وبقدرتهم على نصرته، وردّ الظلم عنه لما يملكونه من عدّة وعتاد (كتائب)، ومن قوّة تجعلهم قادرين على العودة من المعركة منتصرين، وتظهر القوّة الحربيّة هنا وجهاً من وجوه الانتماء، لأن الحديث عن أمجاد القبيلة، أو عن الانتماء والهوية (لا جدوى ولا نفع فيه إذا لم يكن مقروناً بحقيقة ضخمة من حقائق الحياة الكبرى، حقيقة كونيّة هي «القوّة» إنّها شرط هذا الانتماء، وحاميه من الفساد والسّطحيّة والتّلاشي، وهي التي تعمّقه وتعزّزه، وكل انتماء غير مقترن بها هو انتماء هشّ لا يقوى على الصّمود في مجتمع تعصف به الخلافات والحروب)[35] كالمجتمع الجاهليّ.

إذاً شكّل الانتماء بالنسبة للشّاعر الجاهليّ قيمة وجوديّة كبرى، وحاجة فطريّة سعى إليها بكل ما يملك من وسائل، وعدم إشباعها سبّب له القلق، لأنه يُدرك أنها هويته التي يُعرف بها، ومن خلالها يحقّق ذاته، لذلك حرص على الالتزام بقيمها وأخلاقها وقوانينها وكان لسانها المعبّر عن آمالها وآلامها، وكانت هي حاميته من الضياع والتّشتت، ومانحته القدرة على البقاء في عالم الصحراء، ومحقّقة ذاته وطموحه، وملبّية لحاجاته النّفسيّة والأمنيّة والاجتماعيّة، منها يستمّد مشروعيّة وجوده، لذلك رسم لها صورة مثاليّة في شعره، وسعى إلى إظهارها بمظهر الكمال من خلال التّغني والافتخار بقيمها وعاداتها، وإظهار تفوّقها على غيرها من القبائل، ليؤكد انتماءه إليها، وأحقيته بهذا الانتماء، لذلك كان حضورها في شعره حضوراً مكثفاً ومتميّزاً، وهو ما سيتّضح أكثر في حديثنا عن القَبيلة /المثل الأعلى.

القبيلة / المثل الأعلى:

لم تقتصر علاقة الشّاعر الجاهلي بقبيلته على حمايتها والدفاع عنها، بل إنّ دوره تجاوز ذلك من خلال الفخر والاعتزاز بها عبر رسم صورة مثاليّة لها في شعره، فأخذ يُعدّد مناقبها، ويفتخر ببطولاتها، ويظهر تفوّقها على غيرها، ويشيّد لها صورة تقرّبها إلى الكمال، منطلقاً في ذلك من انتمائه إليها وعصبيته تجاهها، فقد شكّلت القبيلة / الجماعة بالنسبة إليه «ينبوع الحياة الأخلاقيّة، ومصدر المُثل العليا جميعاً، ودعامة القيم كلّها»[36].

فالشّاعر الجاهليّ لم يكن يرى في قبيلته إلا «نموذجاً مثاليّاً للكمال والرفعة والسؤدد؛ فإذا هو ينحت لها تمثالاً بديعاً يجمع فيه أفضل الصّفات الخَلْقية والخُلُقية»[37]، فالشّاعر الجاهليّ كما يرى (محمود عبد اللّه الجادر) قد وظّف أكثر جُهده للمهمة الجماعيّة، وذلك من «تثبيت موقف اقتدار القبيلة في ظرف الحرب، ومحاولة رفع مكانتها في ظرف السّلم»[38]. إذاً فالشّاعر الجاهليّ عبر رسمه هذه الصّورة المثاليّة لقبيلته، يحقّق هدفين: أولهما: حمايتها من الأخطار الخارجيّة وذلك بإظهارها بمظهر القوّة والمنعة ليهابها الأعداء، وثانيهما: توحيد أفرادها وتمتين العلاقات فيما بينهم، وذلك من خلال التزامهم بقواعد النّظام الاجتماعيّ التي تضعها القبيلة، ليكونوا أفراداً منتمين إليها، وقادرين على حمايتها.

وخير مثال نورده في هذا السّياق، هو صورة القبيلة كما رسمها الشّاعر (عمرو بن كلثوم) في معلّقته الشّهيرة، حيث تبدو فيها صورة القبيلة صورة خياليّة مثاليّة، صوّر فيها سطوة قبيلته، وسلطانها على الدّنيا بأكملها، حتى ضاق عنهم البرّ والبحر، يقول:[39]

[35]– شعرنا القديم والنّقد الجديد، د. وهب أحمد رومية، عالم المعرفة – الكويت، العدد ٢٠٧، ١٩٩٦، ص ٢٧٧.

[36]– مشكلة الإنسان، تأليف: د. زكريا ابراهيم، دار مصر للطباعة القاهرة، د .ط، د.ت، ص١٦١.

[37]– الإنسان في الشّعر الجاهليّ، تأليف: د. عبد الغني زيتوني، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط١،٢٠٠١، ص ٥٦.

[38]– الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، المجلد (١٥)،العدد (٢)، ١٩٨٦، ص ٩

[39]– شرح المعلقات العشر الخطيب التبريزي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر دمشق –سورية، ط١٩٩٧،١، ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

١- لنـــا الـــدّنيا ومَـــن أضـــحى عليهـــا ونـــبطشُ حـــين نـــبطشُ قادرينـــا [40]
٢- إذا بلـــغَ الفِطـــامَ لنـــا صـــبيٌّ تخـــرُّ لـــه الجبـــابرُ ســـاجدينا [41]
٣- ملأنـــا البَّـــر حتّـــى ضـــاق عنّـــا وظهـــرَ البحـــر نملـــؤهُ ســـفينا
٤- ألا لا يجهلـــنْ أحـــدٌ علينـــا فنجهـــلَ فـــوق جهـــلِ الجاهلينـــا[42]

تبدو صورة القبيلة هنا صورة مثاليّة خياليّة، تخالف الواقع، فهي ذات وجود مطلق يفرض سلطته وهيمنته وبطشه على الكون بأكمله، بما فيه من إنسان ومكان وزمان (لنا الدُّنيا ومن أضحى عليها) متجاوزاً بذلك كلّ ما من شأنه أن يقف في طريق تقدّمه، وذلك من خلال تدمير الآخرين، والبطش بهم، وتهميشهم، وإزاحتهم من الوجود الإنسانيّ، لتغدو القبيلة/ المثال هنا قادرة على حكم العالم بأكمله لما تملكه من تاريخ بطوليّ كبير، ومن قيم ومنجزات تؤهّلها لتفرض سيطرتها على الدّنيا بأكملها، بل لتتجاوز الزمان بمطلقيته وقدرته.

إنّ وعي الشّاعر يرغب في إزاحة أي عدوّ(بمختلف أشكاله)؛ إنسان، أو زمان، أو مكان، يقف في وجه قبيلته، وكأنه «يخشى أن يحدّ بذلك من مطلقية الوجود الذي يبنيه لنفسه عبر هذه الحماسة، ومن ثمّ، فإنّه يعلن أن العدوّ مطلق أيضاً»[43]، وعلى الرغم من مطلقية هذا العدوّ فالقبيلة قادرة على مواجهته، بل إن هذا العدوّ يعترف بقوتها، ويشعر بهامشيته تجاهها، وهذا ما يؤكّده قوله: (إذا بلغ الفطام.....)، فالبطولة هنا متأصلة وموروثة في أفراد القبيلة، وذلك أنّ أصغر أفرادها سنّاً قادر على مواجهة أيّ عدو مهما بلغ شأنه، وعلت منزلته.

وتظهر الصّورة المثاليّة للقبيلة بعددها المطلق الذي لا يحدّه زمان أو مكان، حتّى إنّ عددها تجاوز قدرة المكان على استيعابه، (فضاق بها)، لتنتقل إلى مكان آخر أكثر اتساعاً وامتداداً ورهبة(وظهر البحر....) مما يدلّ على قدرتها على الهيمنة على الكون بأكمله، ويأتي البيت الأخير من هذا المشهد مفتتحاً بالأداة (ألا) التنبيهية ليشكّل خطاباً موجّهاً إلى الآخرين، ومحذّراً إيّاهم من التعامل مع القبيلة بطيش وجهل لأنّها قادرة على ردّ هذا التّعامل بطيش وجهل أكثر، إذاً يغدو الطيش والجهل هنا . حسب رؤية الشّاعر، ورؤية قبيلته . «قيماً إيجابيّة إذا كان الهدف منها ساميّاً ونبيلاً، بحيث تحمي ذمار القبيلة» [44] وتمنع عنها طيش الآخرين وظلمهم، إنّها صورة مثاليّة تعكس مكانة قبيلة (تغلب) في نفس الشّاعر، وتظهر رغبته في رفع مكانة قبيلته، وإعلاء شأنها، على الرغم من مبالغته في رسم هذه الصّورة، وتضخيمها إلى الحدّ الذي يخالف الواقع.

ويقدّم الشّاعر (طرفة بن العبد) صورة مثاليّة متميّزة لقبيلته تجتمع فيها صفتا الشّجاعة والكرم، وهما قيمتان مركزيتان في منظومة القيم الاجتماعيّة للقبيلة، كونهما تمثلان عاملين مهمّين من عوامل البقاء والحفاظ على الذات، ولا سيما في

[40]- أضحى: صار .نبطش: نأخذ بعنف .
[41]- تخر: تسقط .الجبابر: جمع جبار وهو المتسلط والمتكبر .
[42]- يجهل: يتسافه ويطيش .
[43]- جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، د. هلال الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، ط١، ٢٠٠٧،ص370.
[44]- النّقد النّسقيّ تمثيلات النّسق في الشّعر الجاهليّ، يوسف محمود عليمات، الأهلية للنشر و التوزيع – الأردن، ط١، ٢٠١٥، ص ٩٤.

مجتمع كالمجتمع الجاهلي، وتظهر القبيلة هنا شديدة البأس في الحرب، طيّبة سهلة الجانب لمن أراد معروفها، يقول:[45]

١- أُســـدُ غَـــابٍ فـــإذا مـــا فَزِعُـــوا غيـــرُ أنكـــاسٍ ولا هُـــوجٍ هُـــذُرْ[46]

٢- طيّبُـــو البـــاءةِ ســـهلٌ ولهُـــم سُـــبُلٌ إن شـــئتَ فـــي وحـــشٍ وَعِـــرْ[47]

٣- وَهُـــمُ مـــا هُـــمْ إذا مـــا لَبِسُـــوا نســـجَ دَاوُدَ لبـــأسٍ مُحتضـــرْ[48]

٤- وتســـاقى القـــومُ كأســـاً مُـــرّةً وعـــلا الخيـــلَ دمـــاءٌ كالشّـــقرْ[49]

٥- ثُـــمَّ زادَوا أنّهـــم فـــي قـــومهمْ غُفْـــرٌ ذَنْـــبهمْ غيـــرُ فخـــر

٦- ورثـــوا السَّـــودَدَ عـــن آبـــائهمْ ثـــمَّ سَـــادُوا سُـــودَداً غيـــرَ زمـــرْ[50]

٧- نحـــنُ فـــي المشـــتاةِ نـــدعُو الجفَلـــى لا تـــرى الآدِبَ فينـــا يَنْتَقِـــرْ[51]

يرسم الشّاعر صورة مثلى لقبيلته تظهرها بمظهر القوّة والمنعة والبأس الشّديد ويصف جرأتها في ساحات الحرب، وذلك من خلال تشبيههم ب (أُسد غاب) فهم في شجاعتهم وحمايتهم القبيلة كالأُسد التي تحمي مساكنها، وهذا أظهر لشجاعتهم وتقدّمهم في الحرب، فهم قوم أشدّاء لا تفزعهم الحروب، ولا تستخفّهم، ولا تسمع لهم ضجيجاً في ساحات المعركة؛ لأنهم اعتادوها فلا تؤثر فيهم (غير أنكاس....)، فهم قوم ذوو بأس لمن أراد بهم سوءاً، وفي المقابل يقدّمون المعروف لمن نزل بساحتهم، وطلب معروفهم، وتكتمل الصّورة المخيفة التي يريد الشّاعر أن يظهرها لقبيلته في البيت الثالث وذلك بتصوير قومه وهم يتسلّحون للقتال والغزو بقوله (وهُمُ ما هُمْ)، أنه لم يشبّههم بشيء، ولم يصفهم بصفة محدّدة، وإنما يترك للسّامع أن يتخيل الصّورة التي يكونون عليها في ساحات القتال، وكأنه غير قادر على وصف هذه الصّورة لجلالها وعظمتها، فكأنه لا يوجد شيء يشبهها ويوازيها لتُقرنَ به، إنها صورة مثاليّة تتجاوز الواقع وتسمو عليه، إنّ من يملك مثل هذه الصّورة فيساحات الحرب، قادرعلى الانتصار على أعدائه ودحرهم، وجعلهم يتساقطون في أرض المعركة وهم ينزفون الدّماء حتّى إن خيلهم اصطبغت بدمائهم.

ولم تقف الصّورة المثاليّة التي يرسمها الشّاعر لقبيلته عند هذا الحدّ، بل إنها تتعدى ذلك فهم على الرغم من إقدامهم وجرأتهم في الحرب يتصفون بقدرتهم على العفو والصّفح عن المذنب (ثم زادوا أنهم.....) وكلّ هذه الصّفات . حسب رؤية الشّاعر . ليست مدعاة للفخر، لأنها صفات متأصّلة فيهم ورثوها عن آبائهم، فهي مألوفة بالنسبة إليهم، وإذا كان

[45]- ديوانه، شرح الأعلم الشنمتري، تحقيق، دريّة الخطيب، لطفي الصّقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - البحرين،ط٢ (مزيدة ومنقحة)،٢٠٠٠، ص٧٠ـ٧٤

[46]- الغاب: جمع غابة وهي زارة الأسد و مختفاه وأشد ما يكون الأسد عندها لأنه يحميها .فزعوا: أغاثوا .الأنكاس: جمع نكس وهو الرجل الضعيفالدنيء.الهوج:جمع أهوج وهو الأحمق .هذر: جمع هذور وهو الكثير الكلام .

[47]- الباءة: الساحة والفناء . الوحش: المتوحش وهو كناية عن خشونة الجانب وشدّته .

[48]- قوله ((هُمُ ما هُمْ)): تفخيم وتعظيم وتعجب وكأنه قال: أيُّ رجال هم. نسج داوود: يعني الدروع والنسج عملها وسردها . وأول من عملها داود عليه السلام فلذلك تنسب إليه .البأس: شدّة الأمر .المحضر: المحضور المجتمع عليه .

[49]- تساقى القوم: قتل بعضهم بعضاً .الشقر: شقائق النعمان وهو نبات له ثمر أحمر .

[50]- الزمر: القليل .

[51]- نحن في المشتاة: زمن الشتاء والبرد وذلك أشد الزمان .الجفلى: أن يعمم بدعوته إلى الطعام ولا يخص واحداً دون آخر .الآدب: الذي يدعو إلى المأدبة . الانتقار: أي أن يخصهم ولايعمهم .

الكرم من أكثر المناقب الحميدة التي يفتخر بها العربيّ، فإنّ هذا الكرم يكون أكثر تأثيراً، وأشدّ وقعاً في وقت الشّدائد، وهذا ما يصف به الشّاعر قومه؛ إنّ كرمهم يكون في وقت الحاجة، ولا سيما في وقت الشّتاء، والشتاء يرمز عند العرب إلى «أصعب أوقات الحاجة، لذلك فإن الضيافة تُعدّ في هذا الوقت من أعظم الصّفات وأفضل الأعمال، لأنه يتوجّب على النّاس في الشّتاء أن يهتموا بأمورهم الخاصّة أكثر من اهتمامهم بالآخرين»[52]. فكرمهم لا يقتصر على أشخاص محدّدين، وإنما يعمّ النّاس جميعاً وفي أصعب الأوقات.

وتظهر صورة القبيلة المثال في معلّقة الشّاعر (لبيد بن ربيعة) وذلك من الاتّحاد المطلق بين الشّاعر وقبيلته، بقبوله قيمها وقوانينها كلّها، وقد عبّر عن ذلك بتقديمه صورة لها تُعبّر عن «تماهي الوعي الشّعري وتعيّن ذاتيته في الآخر، وتوظيف فعاليتها من أجل تأسيسه مثلاً أعلى عجزت هي عن تحقيقه بذاتها فأسقطته على الآخر»[53]/ القبيلة، يقول:[54]

١- إنَّـــا إذَا التَقَـــتِ المَجَـــامِعُ لَـــمْ يـــزل منـــا لِـــزازُ عظيمـــةٍ جُشّـــامُها[55]

٢- ومُقسِّـــمٌ يُعطـــي العشـــيرةَ حَقَّهـــا ومُغَـــذْمِرٌ لحقوقِهـــا هَضَّـــامُها [56]

٢- فَضْـــلاً وذو كَـــرَمٍ يُعـــينُ علـــى النَّـــدَى سَـــمحٌ كَسُـــوبُ رغَائـــبٍ غَنّامهـــا [57]

٤- مـــن مَعْشَـــرٍ سَـــنّتْ لَهُـــمْ آبَـــاؤُهُمْ وَلِكُـــلِّ قـــوم سُـــنّةٌ وإمامهـــا [58]

٥- لا يَطبَعُـــونَ ولا يَبُـــورُ فَعَـــالُهُم إذ لا يميـــل مـــع الهـــوى أحلامهـــا [59]

٦- فـــاقنع بمـــا قســـمَ المليـــكُ فإنمـــا قســـمَ الخلائـــقَ بيننـــا علّامُهـــا [60]

٧- وإذا الأمانـــةُ قُسّـــمت فـــي معشـــرٍ أوفـــى بـــأوفر حظّنـــا قسّـــامها [61]

٨- فبنـــى لنـــا بيتـــاً رفيعـــاً سَـــمكُهُ فَسَـــما إليـــه كَهْلُهـــا وغُلامُهـــا

٩- وهـــمُ السُّـــعاةُ إذا العشـــيرةُ أفظعـــت وهُـــمُ فوارسُـــها وهُـــم حُكّامهـــا[62]

١٠- وهـــمُ ربيـــعٌ للمجـــاور فـــيهم والمـــرملاتِ إذا تطـــاولَ عامُهـــا [63]

١١- وهـــمُ العشـــيرةُ إن يُبطّـــئ حاســـدٌ أو أن يميـــل مـــع العـــدوّ لئامُهـــا[64]

---

[52]- الجود والبخل في الشّعر الجاهليّ، د. محمد فؤاد نعناع، دار طلاس للدراسات والنشر، ط١،١٩٩٤،ص٩٢.

[53]- جماليات الشّعر العربيّ، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشّعريّ الجاهليّ، د. هلال الجهاد، ص١٦٠.

[54]- شرح ديوانه، حقّقه و قدّم له: د. إحسان عباس،ص٣١٩ . ٣٢١.

[55]-يروى: كنا إذا التقت المحافل .اللّزاز: الذي يلزم الشيء .الجشّام: المتكلّف للأمور.

[56]- مقسم: الذي يقسم بالعدل .المغذمر: قيل هو الذي يضرب بعض حقوق النّاس فيأخذ من هذا ويعطي هذا،وقيل: هو الذي لا يعطي ولا يرد .الهضام: الذي يعطي قوماً ويحرم آخرين بتدبير .

[57]- فضلاً: رغبة في الفضل . ذو كرم: أي منا ذو كرم .

[58]- الإمام: المثال .السُنة: الطريق الواضح.

[59]- يطبعون: تدنس أعراضهم .يبور: يهلك.

[60]- الخلائق: الطبائع ويروى: قسم المعايش. والخلائق: الأخلاق الحسنة .العلام: هو الله سبحانه.

[61]- يروى بأفضل حظنا .أوفى: ارتفع و أكمل ووفر.

[62]- يروى: إن العشيرة .أفظعت: حلّ بها أمر عظيم .السُعاة: في الصلح.

[63]- المرملات: التي لا أزواج لهن .اللواتي قد مات أزواجهن .

تتأسس صورة القبيلة المثال في هذه الأبيات عبر مجموعة من القيم الأخلاقيّة التي تتمسّك بها، والقوانين التي تسنّها، وقبول الشّاعر بها قبولاً كاملاً، تلك القيم التي هي وسيلتها للبقاء والديمومة والاستمرار، يظهر ذلك من خلال الصّورة المثال التي يُقدّمها الشّاعر لقومه؛ فهم قوم أشدّاء أقوياء كرماء، حلماء، يجمعون القيم الجوهريّة كلها التي يرضاها المجتمع، ولعلّ أهم الصّفات التي يريد الشّاعر تأكيدها في قومه هي صفة (الكرم)؛ كونه يمثّل مفهوماً شاملاً لكل المناقب الحميدة؛ من مروءة، وتضحيته، وإيثار، وشجاعة. فالكريم بماله كريم بنفسه، ويتجلّى الكرم بأبهى صوره وذلك في قوله (هم ربيعٌ.....)، بما يحمله الربيع من معاني الخصب، والنّعمة، والتّجدد، فهو رمز للحياة بأبهى صورها، فقومه كالربيع في إغاثتهم لمن يطلب جوارهم، وتتضح أبعاد هذه الصّورة في الشّطر الثّاني من البيت (والمرملات إذا تطاول عامها) ليكون الكرم هنا أكثر تأثيراً، وأشدّ وقعاً؛ لأنّه يشمل هؤلاء النّسوة اللّواتي فقدن أزواجهن، أي فقدن المعين والنّصير لهن ولعيالهنّ. إنّ هذه الصّفات المكثّفة التي ينسبها الشّاعر هنا إلى قومه لا يغفل أن يؤكد أنها صفات موروثة ومتأصّلة فيهم، ورثوها من آبائهم (في معشر.....)، إنه مجد موروث فيهم رسم طريقه لهم آباؤهم، بل إنهم بنوه لهم بناءً ليكون لهم بمنزلة (البيت) الذي يلوذون للاحتماء به، والذي يوفّر لهم الأمن والاستقرار، وفضلاً عن ذلك هذا المجد وهذه الأخلاق هي من قسمة الله لهم، فلا أحد يستطيع أن ينتزعها منهم، إنها دائمة ومستمرة لهم حتّى فنائهم، كما أنها تخلّد ذكرهم بعد ذلك.

إذاً تظهر القبيلة هنا مستمرة تنتصر على البعدين الزّماني والمكانيّ، واستمرارها يكون على مستويين (مستوى البقاء الفيزيائي التوالد والحماية كما يحدث في حالة ذوات أخرى، ومستوى القيم الأخلاقيّة ونظام الإيمان، حيث تكمن فرادتها وتميّزها عن الذوات الأخرى، لا شيء يشارك القبيلة هذا المستوى الثّاني من مستويات الاستمراريّة، وخصوصاً الفرد، فالفرد عاجز عن الاستمرار فيزيائياً عجزه عن تأكيد استمرارية القيم التي يؤمن بها، ومعنى بقائه الوحيد هو التّوحّد المطلق بين هويته ونظام قيمة وبين هوية القبيلة ونظام قيمها)[65] إذاً هي رغبة الشّاعر في رسم صورة مثاليّة لقبيلته وذلك من خلال منحها هذه الصّفات التي تميّزها من غيرها، ولتكون لها درعاً تحميها في وجه مَن يهدّد تماسكها، أو يحاول الوقوف في وجهها، ولا سيما في وجه الزمن القادر على تحطيم كل شيء.

الاستنتاجات والتّوصيات:

يخلص البحث بعد قراءة هذه النّصوصّ الشّعريّة إلى أن:

. المثل الأعلى عكس آمال الشّعراء وتطلعاتهم التي كانوا يطمحون إليها في سعيهم نحو المثاليّة، وتحقيق الأهداف السّامية في مواجهة التّحديات، في بيئة مليئة بالتّحديات والصّراعات القبليّة.

. اتخذ مفهوم المثل الأعلى في شعر أصحاب القصائد العشر صوراً متعددة في، تشمل الفروسيّة، والكرم، والوفاء، والشّجاعة، وغيرها من القيم التي رأى فيها الشعراء ضماناً لاستمرار وجودهم ووجود قبائلهم الماديّ والمعنويّ.

. شكل الفخر القبلي في شعر أصحاب القصائد العشر الجاهليات، أداة لإثبات الوجود، ومطلباً للمجد، ومرآة تعكس أنساق القيم التي حكمت أعماق النفس الشاعرة التي وجدت في الفخر سيلاً لترسيخ الانتماء وتأكيد الهوية.

[64]– يروى: مع العدوّ لوامها . يبطئ حاسد: أي هم عشيرة لا يقدر حاسد أن يبطئ الناس عنهم بسوء.

[65]– الرؤى المقنّعة نحو منهج بنيويّ في دراسة الشّعر الجاهليّ (البنية والرؤيا)، كمال أبو ديب ص 101.

. جاءت صورة القبيلة في شعر أصحاب القصائد العشر صورة مثالية، تنعكس فيها صفات الشجاعة والكرم والنسب الرفيع والانتصار. كما كانت القبيلة بالنسبة إلى هؤلاء الشعراء إطاراً مرجعياً يحدد ملامح الهوية الشخصية والجماعية في آن معاً.

. بناءً ما سبق يوصي البحث بإعادة قراءة القيم الفكرية والجمالية في الشعر الجاهلي.

Reference

[1] D. Abdul Ghani Zaitouni ،The Human Being in Pre-Islamic Poetry ،Zayed Center for Heritage and History ،UAE ،First Edition،(in Arabic) 2001.

[2] F. A. Aslim ،Belonging in Pre-Islamic Poetry ،Publications of the Arab Writers Union ، Damascus ،Second Edition،(in Arabic) ، 1998.

[3] A. Mostafa Asha ،Tribal Identity in Selected Pre-Islamic Poems: Between Tribalism and Consciousness of Tribalism ،Arab Journal of Literature ،Jordan،،(in Arabic) 2005.

[4] H. Al-Jihad ،Aesthetics of Arabic Poetry: A Study in the Philosophy of Pre-Islamic Poetic Consciousness ،Center for Arab Unity Studies ،Beirut ،First Edition،(in Arabic) ، 2007.

[5] M. Fuad Niaaa ،Generosity and Stinginess in Pre-Islamic Poetry ،Tallas Publishing House for Studies ،Translation and Publishing ،First Edition، ،(in Arabic) 1994.

[6] Y. Khalifa ،Studies in Pre-Islamic Poetry ،Gharib Publishing House ،Cairo ،Second Edition، (in Arabic) 2000.

[7] T. ibn Al-Abed ،Diwan of Tarfah ibn Al-Abed ،annotated by A. Al-Ilm Al-Shantamri ، Edited by D. Al-Khatib and Lutfi Al-Saqqal ،Arab Foundation for Studies and Publishing ، Bahrain ،Second Edition، ،(in Arabic) 2000.

[8] U. ibn Al-Abrass ،Diwan of Ubaid ibn Al-Abras ،Edited and annotated by Hussain Nassar ،Mustafa Al-Babi Al-Halabi Printing House ،Egypt ،First Edition،(in Arabic) ، 1957.

[9] C. Abu Deeb ،Unconcealed Visions: Toward a Structuralist Approach to Pre-Islamic Poetry (Structure and Vision) ،Egyptian General Authority for Publications ،Cairo ، Unpublished،(in Arabic) ، 1986.

[10] M. A. Al-Jader ،The Arab Poet Before Islam and the Challenges of the Era ،Al-Mawrid Magazine ،Ministry of Culture and Media ،Iraq،(in Arabic) ، 1986.

[11] D. I. Abbas ،Explanation of the Diwan of Labid ibn Rabi'ah Al-'Amiri ،Edited and Introduced by Ehsan Abbas ،Arab Heritage Series ،Kuwait ،Unpublished،(in Arabic) ، 1962.

[12] F. Al-Khatib Al-Tabrizi ،Explanation of the Ten Mu'allaqat ،Edited by Fakhreddin Qabaawa ،Dar Al-Fikr ،Damascus ،First Edition،(in Arabic) ، 1997.

[13] W. A. Rumia ،Our Old Poetry and New Criticism ،Alm Almaarifa ،Kuwait ،Issue 207،(in Arabic) ، 1996.

[14] Y. Al-Jabouri ،Features and Arts of Pre-Islamic Poetry ،Al Risala Publishing and Distribution ،Fifth Edition،(in Arabic) ، 1986.

[15] A. Al-Ghadami ،Clans and Tribal Identity or Postmodern Identities ،Arab Cultural Center ،Casablanca ،Second Edition،(in Arabic) ، 2009.

[16] A. Adonis ،Words of Beginnings ،Dar Al-Adab ،Beirut ،First Edition،(in Arabic) ، 1989.

[17] I. ibn Manzur ،Lisan Al-Arab ،Dar Sader ،Beirut ،Unpublished ،no date.

[18] Z. Ibrahim ،The Problem of Man ،Dar Misr for Printing ،Cairo ،Unpublished ،no date.
[19] A. ibn Khaldun ،Introduction to Ibn Khaldun ،Edited and Commented by Abdullah Muhammad Al-Darwish ،Yarab Publishing House ،Damascus ،First Edition،(in Arabic) ، 2004.
[20] H. A. Attawan ،Introduction to the Arabic Poem in Pre-Islamic Poetry ،Dar Al-Ma'arif ،Egypt ،Unpublished ،1970.
[21] A. A. Ahmad ،Articles on Pre-Islamic and Early Islamic Poetry ،Al-Markaz Al-Thaqafi Publishing ،Damascus ،First Edition، ،(in Arabic) 2007.
[22] Y. Y. Yousif ،Articles on Pre-Islamic Poetry ،Al-Haqaiq Publishing ،Syria ،Second Edition، ،(in Arabic) 1980.
[23] A. H. Ahmad ibn Fares ibn Zakariya ،Maqayees Al-Lughah (Measuring the Language) ،Edited and Verified by Abd Al-Salam Mahmud Haroun ،Dar Al-Fikr ، Unpublished ،no date.
[24] Y. M. 'Aalim ،Nisfi Al Naqd (Critical Perspectives): Imaginings of the Structure in Pre-Islamic Poetry ،Al-Ahliyya Publishing and Distribution ،Jordan ،First Edition،(in Arabic) ، 2015.